

مكانة القراءة، التأليف والكتاب في المجتمع الجزائري: رؤية حول حقل
الكتابة ودراسة توجهاتها في المجتمع

The place of reading, writing and writers in Algerian society: A view of the field of writing and its orientation in the community

سمية براهيمى

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، s.brahimi@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2021/04/02 تاريخ القبول: 2021/06/02 تاريخ النشر: 2023/12/31

Abstract:

The article is a theorizing view of the field of writing and writing according to the ability of the Algerian society, by way of reminding the place of writers and its value among intellectuals and academics. Then, we present some theories and approaches through which we can study the determinants of writing and its methods. In this work, we presented the accompanying element of writing, which is the reading that no one who is active in the field of the book can practice, however, our vision of the concept of reading is technical and is scientific in nature. A researcher must rely on it to write in the context of society and benefit and benefit.

Key word: book- reading- reading theories-writing approaches- book project model.

المخلص:

المقال رؤية تنظيرية لحقل التأليف والكتابة وفق قابلية المجتمع الجزائري، وذلك من خلال التذكير بمكانة الكتاب وقيمه عند المثقفين والأكاديميين ثم تقديم بعض النظريات والمقاربات التي من خلالها يمكن دراسة محددات الكتابة وأساليبها، كما تم في هذا العمل تقديم العنصر المرافق للتأليف والذي هو القراءة التي لا يمكن لمن ينشط في حقل الكتاب ممارسته، إلا ان رؤيتنا لمفهوم القراءة تقنية وتتميز بطابع علمي يجب على الباحث الإعتماد عليه ليكتب في مساق المجتمع فينفع وينتفع.

الكلمات المفتاحية: الكتاب- القراءة-نظريات القراءة- مقاربات الكتابة- نموذج مشروع كتاب.

المؤلف المرسل: سمية براهيمى، الإيميل: s.brahimi@univ-biskra.dz

مقدمة:

التأليف والكتابة بجميع مستوياتها وأنواعها فعل ثقافي راقى يتدخل فيه عدة عوامل نريد الخوض فيها في هذه الورقة العلمية، حيث أن الكتابة مبحث يحتاج دراسة وتكوين عميق ومتواصل للوصول إلى تكوين نخبة من المؤلفين ففي هذا الفعل تتدخل الإيديولوجيا والتوجهات الفكرية للمجتمع وطبقاتهم وثقافتهم نهيك عن معطيات القراءة وتطبيقها ووتيرتها في المجتمعات، وكذا سبل دراسة الكتاب الذي يتحول ليصبح صعب الضبط التعريف به خاصة مع عصر التكنولوجيا وتعدد الأشكال والصيغ وأساليب الكتابة، من هذا المنطلق يريد الباحثان تقديم مقاربات فكرية تنظيرية لمن يشتغل في حقل التأليف بأنواعه وعرض أهم النقاط الواجب التحكم فيها وتدارسها للنجاح في عملية التأليف باعتبار كل عمل حول الكتاب مشروعاً بحد ذاته، **فماهي محددات النجاح في تطوير نموذج دقيقة لفكرة تأليف كتاب وفق معطيات المجتمع الجزائري وخصوصياته؟**

وللوصول إلى دراسة هذا التساؤل العام نقدم التساؤلات الفرعية الموالية لتوجيه مسار البحث:

- ما هو الطابع الحقيقي لمفهوم الكتاب والمصطلحات التابعة والممثلة له؟
- كيف يمكن دراسة حركة الكتاب والليف من خلال النظريات العلمية؟
- ما علاقة القراءة وتقنيات بمحددات الكتابة؟
- هل يمكن تشكيل نموذج يساعد الباحثين في النجاح وتحقيق مشروع تأليف الكتاب؟

1. الكتاب في المصطلح والمسميات ذات العلاقة

ورد مصطلح كتاب 230 مرة في القرآن الكريم (فؤاد، 1996، صفحة 696) وكان لفظ كتاب في لغة العرب يقترن بالتدوين فقد ذكر العلامة ابن خلدون مادة الكتابة لما يكتب مجموعاً ومثبناً عن بني آدم، فهو التوراة والصحيفة والدواة والفرض والحكم والقدر (مكرم ا.، 1994، صفحة 618)، وللكتاب مرادفات أخرى سردها اللغوي البطليوسي: "...الفنداق، الزمام، الأتجيزج، الرسالة، السجل، السفر، الديوان، الجوائز، الصك، النقتز، الطرس، البراءة.. (السيد، 1990، صفحة 178)". وقد سبق البطليوسي بنقل هذه المعاني التي أعادها بطرس البستاني في كتابه "محيط المحيط" (بطرس، 1998، صفحة 769).
جاء لفظ كتاب في الموسوعة العربية بالمعنى الموالي:

"...صحائف مكتوبة أو مطبوعة مصنوعة من الورق أو مادة أخرى ومثبتة مع بعضها البعض من جهة واحدة حتى يسهل فتحها وقد يكون مغلقا بطريقة لحفظه سليما..." (مؤسسة أعمال الموسوعة، 1990، صفحة 120).

في التعريف الذي لا يمكن تجاهله "تعريف اليونسكو" لعام 1964: "مطبوع غير دوري لا تقل عدد صفحاته عن 49 صفحة باستثناء صفحات الغلاف".

يرجع ظهور الكتاب كما يذكر ذلك المختصون إلى ما قبل الميلاد وذلك بفضل القماش بالإغريقية biblos هو الألياف الداخلية لبعض أنواع النباتات كحال ورق البردي، أيضا باللغة اللاتينية liber هو القشرة التي تلي غلاف الأشجار، بالإنجليزية book وباللغة الألمانية buch المشتقة لغويا من خشب، kinga بالروسية جاءت ربما من الترك ومنغوليا الصين king والتي تعني كتاب (9, p. 1972, escarpit)، الكتاب له تاريخ طويل لا تسع الدراسة التفصيل فيه نظرا لكون مثل هذه الدراسة تشكل أطروحة لوحدنا لكن كمعلومات يمكن تقديمها لمن يهمه شأن الكتاب يمكن ذكر دراسة R.E.Barker التي نشرت سنة 1956 بعنوان "الكتاب عبر العالم" بالفرنسية "le livre dans le monde". ومن المفيد ذكر ما أشار له الأستاذ R.escarpit أن ما جعل الكتاب ينتشر في العالم هو ظهور كتاب الجيب أو كتاب اليد "le livre de poche" (10, p. 1972, escarpit) الذي إخترعه "Henri, Filipacchi"، وصل الكتاب إلى روما عام 1454 ثم فرنسا وإسبانيا (فالنسيا) في 1464، في عام 1476 دخل أول كتاب إلى لندن. (11, p. 1972, escarpit)

على العموم بعد ما تقدم من معطيات يمكن القول أن الكتاب في لغة العرب كثير المرادفات فهو رسالة عند وصف خطاب الأشخاص وديوان في لغة الشعر ودفتر في عمل الإدارة...فهو مفهوم متعدد الإستخدام لا يمكن ضبطه جملة واحدة باعتباره حامل أفكار وليس مجرد حامل أوراق، الكتاب آلة للقراءة لكنها في نفس الوقت لا تعمل ميكانيكيا، الكتاب يباع ويشتري ويهدى لكنه ليس سلعة وهذا ما يراد الأخذ به كمسلمة في الدراسة أي التركيز على المحتوى، وقد ذكر كبير المنظرين في علم المكتبات "Paul Otlet" أن أول

كتاب ظهر بالمفهوم الذي نتكلم عنه اليوم كان بعنوان "Le calendrio" لمؤلفه (Jean de montergio) عام 1476

(otlet, 1934, p. 111)، أما في الجزائر فحسب الدكتور عبد المجيد دحمان فأول كتاب طبع بالجزائر كان عام 1833 من تأليف (Joanny pharaon) صادر عن منشورات الدولة "L'imprimerie du gouvernement" وعنوانه (dahmene, 1990, p. 293):

Traité abrégé de la grammaire arabe simplifiée et modifié à l'usage des personnes qui se livre à l'étude de cette langue.

بناء على ما تقدم من معلومات يمكن القول أن الشكل بالنسبة للكتاب هو بمثابة اللباس الذي يرتديه أحدنا أما المحتوى فهو الجوهر وذاك هو القصد، وبالتالي بكل موضوعية الدراسة تقف في صف Escarpit الذي يقول باستحالة وضع تعريف دقيق وشامل لمفهوم كتاب باعتباره ليس مفهوم مادي وإنما مضمون حامل للأفكار وهذا يجعل منه غير معنى بالضبط من حيث المفهوم.

2. مكانة الكتاب عند المثقفين

الكتاب المطبوع طبعاً والذي يشكل نواة الدراسة إستلهم تفكير المثقفين ورجال العلم وبالتالي سيتم تقديم بعض الأقوال الذهبية بغية تلميع صورة الكتاب وتوضيح بعض المعاني العميقة التي قد تخفى عن الكثيرين.

يقول الجاحظ "...والكتاب هو الذي إذا نظرت فيه أطل إمتاعك، وشدذ طباعك وبسط لسانك وجود بيانك وفخم ألفاظك وبجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام، وصدقة الملوك وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر، إنه خير أنيس وجليس..." (بحر، 1998، صفحة 3)

يقول منظر علم نفس الكتاب نيكولاس روباكين (Nicolas Roubakine) كلاماً مهم حول الكتاب ووضع له نظاماً خاصاً ملخصه (اللطيف، 2007، صفحة 160):

- الكتاب ليس وعاء يعلق عليه القراء إسقاطاتهم؛

مكانة القراءة، التأليف والكتاب في المجتمع الجزائري: رؤية حول حقل الكتابة ودراسة
توجهاتها في المجتمع

- المؤلف لا يتواصل بشخصه مع القراء بل محتويات الكتاب هي التي تتواصل معهم، وعلى القراء فهم مضمونها دون تشويه؛
- للقراءة قوتان: قوة عقل المؤلف وقوة عقل القارئ الذي يعيد الإبداع ويركبه تبعاً لحاجاته؛
- القراء لهم إنطباعات مختلفة عن الكتاب الواحد وحتى القارئ الواحد فقد يعجب بكتاب اليوم وقد لا يعجبه غداً؛

فالكتاب عند روباكين ليس أداة لتقديم الخبرات كما أن القارئ ليس متلقياً سلبياً فقوة النص وقيمه متعلقة بالتغيرات الحاصلة في المجتمع(*) فنظرة المفكر عميقة وحقيقية يمكن القول أن ثقافته عالية جداً تستحق التقدير. تكلم (Albert Labarre) صاحب المقولة المشهورة "ليس هناك كتاب كامل إلا الكتاب المقروء" وقال أن الكتاب هو قبل كل شيء نص موجود كان منذ أمد بعيد وهو أهم وسيلة أو بعبارة أخرى الوسيلة الوحيدة لبث وحفظ المعارف التي تساهم في تدوين التاريخ، الحضارة والثقافة

(*) يمكن وضع مقولة مهمة جداً للعالم روباكين باللغة الفرنسية حفاظاً على وصول الفكرة التي قصدتها بكل وضوح :

"La force du livre n'est pas encore utilisé pleinement, nous n'avons pas trouvé les meilleurs moyens de nous en servir, nous ne savons pas encore les mettre en pratique.

De nos temps le livre n'est pas encore un instrument de la lutte pour la vérité et la justice , mais nous devons le rendre tel"(voir: ROUBAKINE, Nicolas. *Introduction à la psychologie bibliographique*. Sofia: association internationale de bibliologie, 1998, p. 550.)

4) (labarre, 1985, p. 4) فالكتاب يجب أن يعتبر في بيئته الطبيعية أين يأخذ معناه ومغزاه وهو بين يدي القراء (labarre, 1985, p. 5). في الحقيقة سرد بعض الأقوال المأثورة عن الكتاب هو توضيح رؤية الدارسين والمتقنين للكتاب الذي يحمل أكثر من معنى وصورة.

3. مقاربات ونظريات لدراسة الكتاب:

هناك عدد من النظريات التي يمكن أن توظف كآلية لدراسة تأثير الكتاب بعبارة أخرى لقد إنتشرت دراسات بعد الحرب العالمية الأولى (مع بدايات استخدام وسائل الإتصال الجماهيري) لحشد الرأي العام وبتتبع الجوانب الخاصة لدراسة المجتمعات من بين أهم هذه القضايا "حرية التعبير، الإتصال والعملية الإتصالية، قضايا المجتمع وخصائصه" من هذا المنطلق نريد تسليط الضوء على أهم النظريات التي تنصب في هذا الطرح.

3.1 نظرية الصور الذهنية:

منظر النظرية هو والتر ليبمان (w. lippman) الذي أدرج نظرية عن طريق كتاب بعنوان "الرأي العام" عام 1922 (أشرف، 2004، صفحة 63) يقول ليبمان "...إن وسائل الإعلام في المجتمع تساعد في بناء الصور الذهنية لدى الجماهير بمعنى أنها وسائل يمكن أن تقدم حقائق أو تزييفها، أيضا تقدم القضايا التي تهم المجتمع وتتجاهل قضايا أخرى... (أشرف، 2004، صفحة 53) فحسب ليبمان يمكن أن يوجه الرأي العام للمجتمع من خلال تشويه الحقائق أحيانا أو تكوين غموض باستخدام الدعاية بغية إثارة سوء فهم وغموض يعيق وضوح الأفكار وبالمقابل يشجع على تكوين أوهام وخيال. فالنظام السياسي هو أساس تكوين الصور الذهنية باعتباره يسيطر على الإعلام^(*) وعلى المجتمع بصفة عامة.

3.2 نظرية حراس البوابة:

أدرج هذه النظرية (Kurt Lewin) عام 1947 أين ابتكر مصطلح gate keeping أو حارس البوابة (gardien du portail) باللغة الفرنسية حيث تقوم فكرته

^(*) الباحثان يريان أن فحوى هذه النظرية قد تؤثر بشكل أخطر إذا كان هناك بناء لصورة ذهنية ما في شكل كتاب عوض اعتماد وسيلة إعلامية.

على افتراض أن محتوى الرسالة أو النص يسير في قنوات ليصل إلى المجتمع مما يعني أن كل قناة يجب أن تخضع إلى تصريح (إذن) بالمرور (Lewin, 1947, p. 143) وقد سماها Lewin حواجز تفتيش أين يتم عبرها تقرير ما يمر وما لا يمر، وكلما زادت هذه المراحل زادت البوابات ويسمى الفاعلين أو القائمين على هذه البوابات "حراس البوابات".

هذه النظرية في الحقيقة مناسبة جدا لدراسة مثلا جوانب الرقابة على الفكر أو رقابة المجتمعات وغيره التي تفرض على الكتاب مجالات معينة مثلا حيث يمكن أن تكون هذه البوابات في الجزائر: الجمارك، المكتبة الوطنية وتحديد الإيداع القانوني، الناشرين، الطابعين... وكنموذج في هذا المنحى يمكن ذكر نموذج "ويستلي وماكلين" الذي يوضح دور هذه النظرية في التفريق بين الرسائل الهادفة التي تسير مع رغبات السلطة وبالمقابل الرسائل الغير هادفة (الغير مرغوب فيها) .

3.3 - نموذج (Elisabeth-noëlle-newmann):

كما تسمى نظرية لولب الصمت أو دوامة الصمت^(*) والتي تدرس الرأي العام ومجال هذه النظرية هو تأكيد قوة وسائل الإعلام في تكوين الرأي العام^(**) وتوجهات المجتمع وطورت الباحثة الألمانية نيومان دراستها عام 1974 ووجدت أن عملية تكوين الرأي العام تتدخل فيها عدة عوامل: "نفسية، إجتماعية ثقافية وسياسية" بالإضافة إلى تركيز وسائل الإعلام خاصة الثقيلة منها، وقد بينت الباحثة أن وسائل الإعلام تعمل بالطريقة الموالية (noelle neumann, 2015):

- تمرير رسائل متشابهة ومتكررة حول موضوعات معينة؛
 - هناك توجهات للقائمين بالإتصال تسير في إتجاه مصالحهم وانتماءاتهم.
- وبالتالي فنظرة الباحثة عملت على إكتشاف قوة وسائل الإعلام باعتماد منهج تحليل المحتوى والمسح وغيرها على فترات ممتدة ومتباعدة للكشف عن التأثير الممارس من قبل الإعلام في صناعة الرأي العام وتوجيه المجتمع.

^(*) ترجمة من اللغة الفرنسية (spirale du silence)

^(**) المقصود بهذه العبارة السلطة الإعلامية التي تؤدي دور أساسي في التعريف بكتاب عبر التلفزيون والجراند

توصلت الباحثة إلى نتائج مفادها أن تتبع آراء واتجاهات معينة تؤثر على المتلقين مما يخلق تأييدا للإتجاه (***) الذي تتبناه السلطة السياسية، أما الإتجاه المخالف فيأخذ موقف الصمت خوفا من العزلة والإضطهاد، فالرأي العام مقسم وفق هذه النظرية بين الكلام والسكوت في القضايا التي تهم المجتمع وباعتبار أن الكتاب هو دعامة للفكر فالأمر سواء لأن المؤلف عنصر من المجتمع وبالتالي موقفه حيال قضايا المجتمع يأخذ نفس المنحى وصدق من قال "إذا كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب"، ويمكن في هذا الباب ذكر دراسات مهمة ومفيدة للإستزادة من ضبط مثل هكذا ظواهر كدراسة Tonnier (*) الذي يعتبر دائما أن رأي الأغلبية هو السائد فهو يفرض الرضا والسكوت، أو يتجنب مساندة الرأي الآخر، Bryce يتحدث عن الأغلبية التي تبقى ساكنة عن بعض القضايا التي ترى أنها مغلوقة فالقضية عنده هي فقدان القدرة عن المقاومة وكمثال عن هذا هذه الفكرة التي تدرس الصمت إقتراح الباحث Tocqueville (***) الذي قارب الدراسة بنظرية الكنيسة الفرنسية التي إلتزمت الصمت بسبب تخوفهم من العزلة لكن مع اعتماد إستراتيجية أخرى من خلال مشاركة الرأي العام دون أن يكون إعتقادهم مع هذا الرأي (de), 1967, p. 260)

من خلال هذه الأفكار التي تم إستعراضها يمكن استخلاص معلومات قيمة خاصة وأن الكتاب في كثير من الحالات يتم تجاهله من قبل وسائل الإعلام التي من المفروض

(***) الإتجاه هنا طبعاً هو الإتجاه السياسي.

(*) (Ferdinand, Tönnies) ولد سنة 1855 بدأ دراساته بالفلسفة ثم توجه إلى علم الإجتماع ونال شهرة بعد دراسة لتأثر المجتمع من خلال كتاب بعنوان "Communauté et société" الذي حقق نجاح كبير عام 1922.

(voir: UNIVERSITE DU QUEBEC (UQAC). Les auteurs classiques [en ligne] Disponible sur: classiques. Uqac.ca/classiques/Tonnier_ferdinand/communaute_societe_soc_intro.html) [consulté le 4 mars 2012].

(**) ALEXIS- HENRI CHARLES CLEREL (1805-1859), compte de Tocqueville politicien et historien français (voir: ENCYCLOPEDIE DE L'AGORA. TOCQUEVILLE ,Alexis de [en ligne] disponible sur: agora.qc.ca/dossier/alexis-de-Tocqueville) [consulté le 4 mars 2013]

عليها الترويج له وتقديمه للقراء وهذا تحقيقاً للنصوص التي تشير للحريات وحق الشعوب في القراءة والتعلم والثقافة.

إن السبب الذي جعل الدراسة تعتمد نظرية نيومان كمقاربة هو إبراز لفكرة إمكانية تطبيق هذه النظرية عن المسكوت من الكتاب (*) في أجندة السلطة حيث نعتقد نحن كباحثين أن نظرية لولب الصمت تنفذ كمقاربة لدراسة الكتاب بتكليف يمكن عرضه كالتالي:

- نجاح المؤلف يكون عند الكتابة في مواضيع تسيير بسياق الرأي الأقوى؛
- المحيط الإجتماعي هو الذي يحدد استعداد الفرد عن التصريح بالأفكار، وكلما كان الرأي بعيد عن موقف الأغلبية كان معرض للرقابة الذاتية (سكوت المؤلف)؛
- الفرد يتأثر بالرأي العام حول القضايا المثيرة للجدل؛
- إذا كان الرأي العام متفق حول قضية معينة فستدوم مدة طويلة وكلما كان موقف الرأي العام ضعيفا دل ذلك أن التغيير في المواقف وهذا معناه أن الكتابات في المواضيع في تغيير مستمر يتحكم فيها توجهات الرأي العام -الطابوهات- كما يقال؛

- القضايا المستقبلية أو الإستشراقية مرهونة بالثقة بالنفس عند المؤلف والتي يمكن أن تتغير عند شعور الشخص (المؤلف) بالعزلة.

3.4 نظرية الطبقتين أو الإتصال المزدوج في طبقتين:

أدرج هذا النموذج Elihu Katz و Paul lazasfield عام 1948 بعنوان: "Two step flow of communication" ومفادها أن الإعلام يعمل في نسق مزدوج وهو قادة الرأي العام (الذي يسيطرون على الرأي العام) ومجموعات مرجعية (عائلة ...) فالمعلومات التي يبتثها الإعلام خاصة المجتمعي منه يكون إعداده من قبل قادة الرأي الذين يرتبطون مع باقي السكان عن طريق الحوار؛ أما النوع الثاني فهو خاضع للشبكات (شبكات الإتصال) فنموذج الباحثين يوضح أن الرسائل تملئ من قادة الرأي وتمارس ضغط على

(*) المسكوت عنه من الكتاب هي الكتب التي تجاهلتها الصحافة لأن الباحثين على يقين أن الصحافة تتبع كل كبيرة وصغيرة في الأحداث الداخلية للجزائر وليس من المعقول الاعتقاد أن الصحافة جهلت بصدور كتاب قد يكون موضوعه "حساس" فالنماذج من هذا النوع كثيرة جدا.

المجموعات الإتصالية فتؤثر على الرأي العام وبالتالي تخلق رؤية محددة للمجتمع حول الكثير من القضايا.

إن النظريات السابقة الذكر تشترك في كون السلطة **وراء صناعة الرأي العام** خاصة عندما تكون في أيدي أصحاب القرار وبما أن المؤلف والكتاب رهن هذه السلطة الإعلامية وعنصر في المجتمع فكل فكرة صادرة عن المؤلف أو القارئ على حد سواء تعد صناعة أو نحت للفكر الذي يختلف من بيئة لأخرى ومن مجتمع لآخر فقد تمارس أحيانا رقابة ذاتية يكون مصدرها المؤلف، رقابة ذاتية لا مفر منها إلا في حالات نادرة (طبقة راقية من المؤلفين والقراء) وقد يمارس أيضا التجاهل الذي يفرض عن بعض المؤلفين لضرب المبيعات وحتى طمسها بمفهوم لولب الصمت أو حتى إغراق السوق بمواضيع مناقضة للكتب محل الرفض من السلطة بأعداد هائلة تجعل الكتب المتحفظ عنها مهملة عند القراء، أيضا توظف نظريات الإعلام التي تم سردها بتوظيف قادة الرأي عبر وسائل الإتصال المعلومة لتوجيه الرأي العام نحو أهداف مسطرة وكأنها رقية سياسية على قول (Katz, Lazasfield) طبعاً مع تركيز وضغط على المعارضين والسبل في هذا المجال كثير، فقد يكون المال أو التهديد أو التشويه في السمعة أو حتى أبعد من ذلك، المهم أن هذا التصبيح ليس صعب التوقع أو الإستنتاج من حيث الفهم فقد كان سرد هذه النظريات هو توضيح لبعض السبل لدراسة الكتاب من زوايا جديدة لم تطرح سابقاً، ولكنها ممكنة وهذه ربما إضافة قد تكون صائبة وقد تكون العكس لكن المهم قبل كل شيء هو البحث والمحاولة بطريقة أكاديمية.

بعدها تم سرد المعطيات المتعلقة بنظريات الإعلام، الدراسة تتحول في هذا العنصر إلى قضية محورية في قضية دراسة محددات تأليف الكتاب وهي القراءة أو بالأحرى ما يسمح بقراءته ولماذا التوجه للقراءة؟ الجواب بسيط تأليف الكتب هو نتاج عملية قراءة لمضامين أخرى لتكوين ثقافة وتشكيل مخيلة فكرية للمواضيع الممكنة الكتابة فيها وبالتالي الدراسة تستلزم الضوء على حقيقة القراءة والطريقة العلمية لتنفيذها وهذا بهدف توصيل فكرة مفادها أن هذه الأخيرة عملية لها طرح نظري عميق يتولاه أشخاص لهم كفاءة عالية حتى تكون قراءة مضامين الكتب موضوعية.

4. القراءة سلوك، أم ثقافة أم تعلم:

القراءة كما ورد في قاموس المنجد في اللغة والإعلام من مادة قراءة "قرأ، قراءة وقرآن بمعنى نطق بالمكتوب أو ألقى عليه النظر وطالعه، وقرأ عليه السلام بمعنى أبلغه السلام (مؤلف، 1975، صفحة 616) وجاء مصطلح مقارئة بمعنى شاركه في القراءة أو الدرس، فهي مصطلح مفرد جمعه قراءات وهو كيفية القراءة والأقرأ هو الأفضح قراءة، والإستقراء: الإستنباح، وهي عند المنطقيين إثبات الحكم للكل.

القراءة كما ينبه الأستاذ الدكتور عبد اللطيف صوفي -يرحمه الله- من أهم المعايير التي تقاس بها تقدم وتخلف المجتمعات وليس المقصود هنا من يعرف القراءة والكتابة أي غير الأمي بل الذي يحب القراءة. (اللطيف ص.، 2009، صفحة 32) القراءة أيضا "...سلوك إنمائي، مقدرة إقتصادية، سلطة واستعداد نفسي بخلاف

المطالعة

التي هي ممارسة أو تخلي عن الممارسة ذات بعد إختياري أكثر منه إلزامي..." (وحيد، 1996، صفحة 128)

بالتالي فالقراءة مفهوم علمي وليس أدبي فقط له نظريات ودراسات على مستوى عال من البحث، هذه النظريات تتدرج في مجال نظرية الأدب أو كما تسمى نقد الأدب^(*) الذي مر بعدة توجهات سيتم التعرض لها لفهم ماهية القراءة وكيف تعمل على تحديد النصوص وما الذي يجعل النص مرغوب أو مرهوب؟.

لقد عرف الأدب إشكالية كبرى طرحها "jean Paul Sartre" وهي (ما هو الأدب)؟

"que ce que la littérature" وهذا التساؤل أفرز دراسات يمكن عرضها تباعا.

كانت الدراسات الكلاسيكية متأثرة بآراء الشكلائية التي كان توجهها ينصب حول براعة الكاتب وتقنياته في الكتابة وبالتالي فإن نظرتهم كانت آلية (سلون، 1996، صفحة 49) وضد البلاغة اللغوية مثال ذلك آراء باختين ومادفديف اللذان كانا يصنفان الخطاب بكونه

^(*) مبحث القراءة مهم جدا في التكوين الجامعي ولم يعطى له حقه رغم أنه من صلب الكتاب وقضاياه مثال ذلك النشر وغيره ودليل ذلك غياب مقاييس في هذا الجانب بينما نجد ذلك حاضرا في تخصص الأدب وهذا ربما يحتاج إلى مراجعة وإستدراك.

ظاهرة إجتماعية، لكن بالمقابل هناك من هاجموا هذا التوجه بالتحديد دوسوسير "F.de saussure" من خلال أعماله حيث حاول تغيير هذا الإعتقاد نحو مفهوم البلاغة واللسان، لكن الإنطلاقة الحقيقية للأبحاث العلمية لفعل القراءة جاءت من قبل البنيويين "structuralistes" (**). خاصة بعد تحول مفهوم دراسة النصوص من مفهوم المؤلف إلى مفهوم النص الذي يعد المكان الذي ندخل فيه في حوار ونقاش مع فكر المؤلف، أما فكرة النص تحولت فيما بعد إلى نظرة أخرى وهي العلاقة بين النص والقارئ التي تعد أهم فكرة يريد الباحث الخوض فيها فقد أفرزت هذه المقاربة عدة دراسات أهمها دراسات مدرسة كونستانس حيث قام Rainer warning بجمعها من خلال رواد هذ المدرسة أمثال:

(Stanly fish, Felix Vodicka, Wolfgang Iser, Jauss Hans Robert...)

من خلال أنطولوجيا بعنوان: "Histoire de la réception ou esthétique de l'effet".

1.4 أعمال Hans Robert Jauss:

أدرج الألماني Jauss مصطلح "أفاق الإنتظار" الذي يعرفه بأنه حصيلة المعارف الأدبية لدى القارئ، هذه الحصيلة الثقافية تعمل كقاعدة معلومات تتفاعل مع أفكار المؤلف (jauss, 1978, p. 54) لكن يجب التوقف هنا للإشارة أن Jauss ليس هو الأول الي طرح فكرة الإستقبال لأن المراجع التي تم الإطلاع عليها في الغالب تشير إلى أن السبق في هذا التنظير يعود إلى البنيويين الروس "structuraliste de prague" أو كما يسميهم المتخصصين في مجال الأدب حلقة براغ اللغوية وكان ذلك في سنوات العشرينيات من خلال أعمال

"Felix Vodicka et yan Mukarovsky" اللذين قاما بتحليل دور الإستقبال في بناء

المعنى المنبثق عن مصنف أدبيوتوصلا إلى تشكيل نظرية الإستقبال عام 1941 لكن ما أحرّ بروز هذه الأعمال إلى أوروبا هو عملية الترجمة من اللغة الروسية إلى الألمانية التي لم تتم إلا في السبعينيات.

(**) هي سلسلة من البيانات المعروفة باسم أطروحات جاكوبسن وتيانوف (1928) وفحواها العلاقة بين

السلاسل الأدبية (النظام) والسلاسل التاريخية الأخرى.

2.4 أعمال wolfgang iser:

أدرج Iser كتاب بعنوان "فعل القراءة" (L'acte de lecture) (Iser, 1976, p. 126) حيث ذكر فيه أن النظام المفاهيمي للنصوص لا يقتصر فقط على اللغة ونظامها أي المعنى "signifié" بل يتفاعل مع مجموعة من الدلالات تمكن أو تفجر عند القارئ قدرة لإنتاج مفاهيم جديدة مختلفة عن المفهوم الذي يطرحه المؤلف، فالقارئ في وضعية "الحدث" (événement) الذي يكونه عن المعنى ووفق حركية المدلول، بمعنى أن فعل القراءة ظاهرة لدى القارئ وليست نسق إجتماعي لأنه يمتلك فهرس مشكل من عناصر خارجة عن النص ذاته وهي حقائق عايشها المؤلف "التناص".

بعبارة أخرى القارئ عند Iser هو القسم من البياض "الفراغات المقصودة" التي يتركها المؤلف في النص (bouvet, 2007, p. 12)، هذه الفراغات هي نوع من الحرية يتفاعل معها القارئ ويجعل منه فعّالاً في بناء أفكار النص الذي هو في الأصل ثابت لكن القارئ هو الذي يحركه وهذا معنى "الحدث"، أما عند كل من (Stuart hall) و (Stanley Fich) فالقضية تختلف فالأول يرى أن قراءة كتاب هي تفكيك رموز يقوم بها القارئ المستقبل الذي يتبنى مواقف عوض أن يقوم بمقارنة المعلومات مع الخبرات الشخصية، أما بالنسبة ل (Stanley Fich) (*) فهو يرى أن القارئ ينتمي إلى مجموعة إجتماعية معينة تحدد كيف يفهم النص.

(Iser, 1976، صفحة 51)

من بين الأعمال التي تذكر بكثرة في مبحث القراءة دراسة (Paul Ricoeur) الذي يرى أن القراءة تعمل وفق نظام إستقبال النص، وطريقة عمل هذا النظام يتم في مرحلتين؛ مرحلة الفهم وهي كيف تم تركيب النص أو تشكيله ثم مرحلة ثانية تخص الشرح ويكون فيها تحيين الرموز التي يريدها القارئ، بمعنى أن القارئ هنا يعبث به ويستغل من قبل المؤلف

(*) Fish يصف الفكرة بمفهوم المجتمع المحلل أو المفسر (communauté interprétative) الذي يجد الإطار الممكن من خلاله فهم النص وهو يقصد بذلك أن لكل تركيبة معينة من المجتمع لها خصوصياتها الدينية، التاريخية، الإيديولوجية... أي أن النص يفهم بعدة معطيات تتأثر بخصوصيات المجتمع.

حتى يملأ هو الفراغات التي يتركها له (ricoeur, 1986, p. 152) ، وهذا أيضا طرح لفكرة القراءة كفعل فردي وليس نتاج مجموعة إجتماعية على قول (fish) . بعد عرض أهم التوجهات وأعمال مدرسة (Constance) بشيء من الإختصار يمكن تقديم نماذج أخرى لا نقل أهمية قصد تقديم أكبر قدر ممكن من المعلومات حول مبحث القراءة لتثبيت فكرة يريد الباحث توصيلها لمن يهمله أمر القراءة وتقويم الكتب من خلالها.

3.4 نموذج (Umberto Eco):

كما يسمى نموذج التحليل الدلالي إقترحه الكاتب الشهير (Umberto Eco) في كتابه "Lector in fabula" الذي نشر عام 1979 والذي أدرج فيه فكرة "القراءة المتعاونة أو المستحبة" (مصطفى، 2001، صفحة 13) ولتوضيح فكرة Eco فهي تصور قريب من فكرة Iser مع إختلاف حول كون القارئ يعيثر به (umberto, 1995, p. 80) ، لكن الذي يبدو جليا أن هذه التوجهات والأفكار كانت حافزا لبروز آراء أخرى هذه المرة تركز بصفة كاملة على القارئ أو ما يعرف بما بعد البنيويين مثال ذلك طريقة الفرنسي (Michel picard) الذي يطرح فكرة "القراءة كلعبة" (picard, 1986, p. 97) من خلال وثيقتين؛ كتاب نشر عام 1986 يحمل عنوان "القراءة كلعبة" وكتاب ثان نشر عام 1989 وموسوم بعنوان "قراءة الوقت" وملخص فكرة Picard أن القارئ الحقيقي يقرأ النص بذكائه وثقافته وقيوده الإجتماعية، التاريخية والشخصية.

إقترح الفرنسي (Vincent Jouve) في كتابه "L'effet personnage dans le roman" لعام 1992 نموذج للقراءة يقوم على التحليل النفسي، كما درس (François Richaudeau) عملية القراءة عام 1969 وألف كتاب بعنوان (La lisibilité) قام من خلاله بتصنيف القراءة إلى أنماط منها؛ قراءة ساذجة وقراءة عارفة وقراءة خبيرة (conquet, 1973) ، كما اقترح أنواع أخرى كالقراءة الخطية والجمالية، لكن أساس هذا الطرح كله جاء لتوضيح الأهمية التي تحتلها عملية القراءة ومدى جاذبية هذا المبحث من حيث الإهتمام والدراسة لدى المفكرين الكبار منهم خاصة وهذا كله يوحي بكون عملية القراءة تتطلب إحترافية ومستوى من التحكم يأتي بالتدريب الطويل والدراسة المعمقة للنصوص وأنواعها.

5.4 أعمال (Roland Barthes):

طرح المفكر الكبير *Roland Barthes* (*) أفكار جميلة جدا حول القراءة يمكن تلخيصها بهدف إعتادها كمقاربة أو نموذج في الجانب المتعلق بتحديد الكتب التي كانت محل منع في الفصول الخاصة بمضامين الكتب المحضورة.

في مقال قصير حرره "بارت" عام 1968 أدرج المفكر مفهوم "موت المؤلف"

(roland, 1968)

(Mort de l'auteur) حيث رفض من خلاله النظرة الكلاسيكية التي كانت تحيط بالمؤلف،

حيث تحدث *Roland Barthes* أن المؤلف يكتب من خلال قراءات متعددة تخطط ليعاد تشكيلها لإنتاج نص جديد، كما طرح فكرة أخرى مهمة أيضا في مشواره اللامع وهي "المتعة واللذة" (**)

(jouissance et plaisir) وقد ركز بدرجة كبيرة على اللذة التي تتجاوز النص، بالمعنى

الشفاف يرى Barthes أن الأدب الإباحي مثلا يخلو من المتعة لأنه يحاول أن يقدم الحقيقة، وفي كتاب (S/Z) يبين بارت أن مساعي علماء البنيوية الذين يرون كل النصوص في بنية واحدة خطأ لأن كل نص فيه إختلاف ما وقد ذكر أيضا أن هناك نصوص كالرواية الواقعية تنتج قارئ مستهلك، بينما هناك نصوص أخرى تتضمن معنى "الأنا" أو "moi" تنتج قارئ صانع وطرح فكرة الشفرات الخمسة لدراسة النصوص والتي هي على التوالي: التأويلية - الإيحائية - الرمزية - الفراسة - الثقافة (*).

إن أعمال "Barthes" في مجال القراءة والكتابة في الحقيقة كثيرة ومتميزة وستعمل

الدراسة على إعطاء حوصلة عنها فيما بعد نظرا لأهمية أفكار بارت وتميزها مقارنة بغيره.

(*) Roland Barthes (1915-1980) مفكر وناقد كبير فرنسي من البنيويين، يعتبره البعض فيلسوف فرنسا في العصر الحالي له أفكار بارزة في مجال دراسة النصوص الأدبية كرس حياته لمحاولة طرح فكر جديد لدراسة ونقد النصوص الأدبية، المفكر صاحب ثقافة واسعة وسيكون هناك في الدراسة عرض لعدد مهم من إنجازاته.

(**) لم يتم التحصل على النص الأصلي ولكنه متوفر على شكل PDF في سلسلة الأعمال الكاملة لبارت من منشورات le seuil التي جمعت في 2002 وتمكن الباحث من قراءة النص في شكله الكامل .

(*) سيكون هناك شرح وافي لهذه الشفرات لاحقا

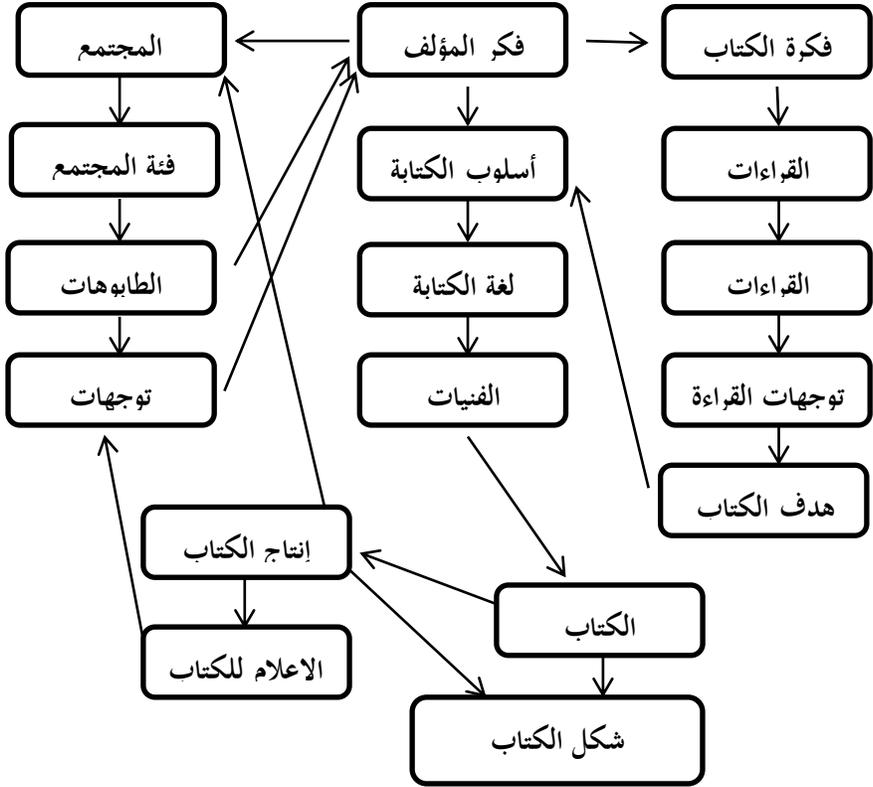
نظريات القراءة بصفة عامة تعمل على نطاق مزدوج؛ الانتظار (Attentes) والآراء (Opinions) أي بين المعايير الجمالية والمعايير الإجتماعية لكن بين المؤلف والقارئ، فالكتاب في آخر المطاف لا مجال لدراسته وتقويمه والحكم عليه دون عملية القراءة، لكن ليس بقراءة ساذجة وسطحية بل بالعكس قراءة قائمة على نظريات من صنف ما تم ذكره، أيضا العمل على تفعيل قراءة لها طابع علمي وبأداء من أشخاص ذو كفاءة عالية ومستوى مناسب وقد يبدو هذا الكلام منطقي لكنه في الواقع صعب التحقيق بدليل ما أفرزته الدراسة من معطيات في هذا الجانب⁽²⁾.

بعد هذا الطرح لمبحث القراءة يمكننا أن نستخلص العناصر الموالية حول القراءة وأهميتها:

- القراءة بالنسبة للمؤلف والباحث كالمتمنفس الذي لا يمكن العيش من دونه
 - كثرة القراءة تشكل مخيلة واسعة للكاتب ومن يريد الكتابة كما يعطى آفاق واسعة لمعرفة المواضيع التي تستقطب القراء.
 - يجب دراسة وفهم توجهات وتقنيات القراءة لتكوين شخصية الكاتب
 - هناك مدارس فكرية للقراءة تعمل بتقنيات مختلفة وخصوصيات متعارف عليها
- بعد هذه المباحث التي حاولنا من خلالها إعطاء فكرة حول الكتابة والتأليف، ومحاولة بناء تصور للحقل الذي ينسجم معه المجتمع الجزائري يمكننا تقديم نموذج لما نتصوره من بناء معرفي يمكن من خلاله للمؤلف التفكير في التوجهات الفكرية والشكلية التي يمكن له من خلالها نسج أو تشكيل المواضيع التي يراها مناسبة للسياق والحالة المجتمعية والأوضاع السياسية.

⁽²⁾ DEJEAN, Joan. Le travail de l'oubli: commerce, sexualité et censure dans le festin de pierre de Molière. *Littérature* [en ligne]. 2006, vol.4, n° 144. p. 6-24. Disponible sur: <http://www.cairn.info>. [consulté le 6/6/2015].

5. نموذج مقترح لبناء مواضيع التأليف وحقول الكتابة: الشكل (1)



المصدر: المؤلفان

المخطط المقدم هو حوصلة لكل ما سبق تقديمه من معلومات حول محددات وتوجهات التأليف ودوافعه وحقول الكتابة التي كثيرا ما توافق توجهات المجتمع مما يستدعي ثقافة خاصة للمؤلف أو الباحث حتى يكون ناجحا في مشاريعه، فمشروع التأليف كما هو موضع في المخطط يبدأ من فكرة تتسج من توجهات المجتمع والموضى الخاصة بالقراءة - إن صح التعبير - أو كما يسميها الكثيرون الطابوهات هذه المعطيات تترسخ في ذهن المؤلف وبالتالي يستلزم عليه الإطلاع عن المكتوب أو الأدبيات المتوفرة حول الموضوع الذي يريد الخوض فيه ثم تحاول إختيار الفئة المستهدفة من القراء وهذا أيضا باب آخر فيه إختيارات أخرى منها أسلوب الكتاب ولغتها باعتبار أن الجيل الحالي معرب كذلك عليه التفكير في التقنيات المناسبة للكتابة والتحرير، ليكون هناك إجراءات أخرى بعد الإستقرار على فكرة الكتاب

والانتهاء من مخطوطته ونحن نقصد طبعا إجراءات النشر كاختيار الناشر وقضايا الإيداع ومناقشة الحقوق الخاصة بالتأليف وغير ذلك لتأتي في الأخير إعتبارات التكنولوجيا كشكل الكتاب (PDF, e-book...) فالعملية كما نرى تقنية جدا وتحتاج تفكير وتخطيط دقيق وهذا سبب ما قلنا أنه مشروع بآتم معنى الكلمة

خاتمة:

قضية التأليف تتداخل معها عدة أمور منها التوجه العام للمجتمع من حيث الخيارات والإيديولوجيا والدين وغير ذلك بالإضافة إلى طباع القراء وعاداتهم فالكل يعرف أن نسب القراءة متدنية لكن كل الدراسات التي تمت حول مبحث القراءة تبقى غير كافية بسبب غياب إحصاءات دقيقة، نهيك عن كون هذه التخمينات غير مقنعة لأن الواقع يثبت على الأقل أن المجتمعات العربية تقرأ الفكر والدين وبوتيرة محترمة لكن ما يعيق هذه العملية ربما أمور أخرى لعل أكبرها غلاء سعر الكتاب، وعلى العموم ما يهمننا في الدراسة توصيل أفكار للمشتغلين في حقل الكتابة حيث تبين الدراسة أن أول نقطة يجب ضبطها هي قيمة الكتاب عند المتقف وكيف يجب علينا تبليغ هذه القيمة للمجتمع، النقطة الثانية تتمثل في القراءة وكيفية تفعيلها من خلال فهم هذا المبحث ودراسته جيدا والبحث عن التقنيات الموصلة لتحقيقه عند المجتمع، كما تم عرض بعض النظريات التي تساعد في تحقيق ذلك بطريقة علمية، وقدمنا في الأخير نموذج نظري صممناه وفقا للمعطيات الجزئية ليكون ربما كآلية أو على الأقل طريقة تفكير ينبغي توسيعها وتحسينها لعلها تساعد الباحثين والمؤلفين بمستوياتهم وطبقاتهم.

بيبلوغرافيا:

المراجع باللغة العربية

- أشرف، خ. ف. (2004). المؤسسات الصحفية بين التنظيم والرقابة. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- السيد، ا. أ. (1990). الإقتضاب في شرح أدب الكتاب. بغداد: دار الشروق العامة.
- اللطيف، ص. ع. (2007). فن القراءة. دمشق: دار الفكر.
- اللطيف، ص. ع. (2009). فن القراءة، أهميتها، مستوياتها، مهاراتها، مستوياتها، أنواعها. الجزائر: دار الوعى.

مكانة القراءة، التأليف والكتاب في المجتمع الجزائري: رؤية حول حقل الكتابة ودراسة توجهاتها في المجتمع

- بحر، ا. ا. (1998). البيان والتبيين. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- بطرس، ا. (1998). محيط المحيط. بيروت: مكتبة لبنان.
- سلون، ر. (1996). النظرية الأدبية المعاصرة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عبد الابقى، محمد فؤاد. (1996). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة: دار الحديث.
- مصطفى، م. ح. (2001). نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- مكرم، ا. م. (1994). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- مكرم، ا. م. (1994). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- مؤسسة أعمال الموسوعة. (1990). الموسوعة العربية العالمية. بيروت: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
- مؤلف، د. (1975). المنجد في اللغة والإعلام. بيروت: دار المشرق.
- وحيد، ا. م. (1996). المكتبة المدرسية في التعليم والتعلم. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة.

المراجع باللغة الأجنبية

- bouvet, r. (2007). *étrange récit, étrange lecture*. quebec: presse de l'université du québec.
- conquet, a. f. (1973, mars 5). *cinq méthode de mesure de la lisibilité*. Consulté le 3 5, 2020, sur persee: www.persee.fr/docaspdf/colan_0336-1500_1973_num_17_1_3978.pdf
- dahmene, m. (1990). contribution à l'étude des systèmes d'information scientifique et technique: approche théorique et étude de cas de l'algerie. *thèse de doctorat*.
- escarpit, r. (1972). *la révolution du livre*. Paris: unesco.

- iser, w. (1976). *l'acte de l'ecture: théorie de l'effet esthétique*. wavre: margada.
 - jauss, h. r. (1978). *pour une esthétique de la réception*. paris: gallimard.
 - labarre, a. (1985). *histoire du livre*. paris: puf.
 - lewin, k. (1947). *channels of group life*. new yourk: humain relations.
 - noelle neumann, e. (2015, avril 2). *la spirale du silence: une théorie de l'opinion publique*. Consulté le 10 2, 2020, sur hermes: i.revue.inist.fr
 - otlet, p. (1934). *traité de documentation: le livre sur le livre, théorie et pratique*. bruxelle: édition mundaneum.
 - picard, m. (1986). *la lecture comme jeu*. paris: minuit.
 - ricoeur, p. (1986). *qu'est- ce- qu'un texte*. paris: le seuil.
 - roland, b. (1968, sep). la mort de l'auteur. *mantéria*, pp. 61-67.
- tocqueville (de), a. (1967). *l'ancien régime et la révolution*. paris: gallimard.
- umberto, e. (1995). *lector in fabula ou la coopération interprétative dans les textes narratifs*. paris: grasset.